جماليات الكياروسكورو في إعادة إنتاج الأفلام السينمائية الملحمية العربية بالإستلهام من السينما التعبيرية الألمانية

AESTHETICS OF CHIAROSCURO IN REPRODUCTION ARABIC EPIC FILMS INSPIRED BY GERMAN EXPRESSIONIST CINEMA

نيڤين عبد اللطيف محمد عمر
قسم الديكور - كلية الفنون الجميلة - جامعة الأسكندرية - جمهورية مصر العربية

Neveen Abdellatif Omar
Decor Department - Faculty of Fine Arts - Alexandria University - Egypt

neveen.abdellatif@alexu.edu.eg

الملخص

تشترك الأفلام السينمائية الملحمية مع أفلام السينما التعبيرية الألمانية، أن كلاهما يركز على الأحداث المؤثرة بحياة الشعوب، كالحروب والثورات والتغيرات التاريخية والجغرافية والكوارث الطبيعية وغيرها، ولقد اصطبغت أفلام السينما التعبيرية الألمانية بقدر من الذاتية والتعبيرات الشعورية وتناول المخاوف والمعاناة الإنسانية، ساهم في إظهار ذلك استخدام أسلوب الكياروسكورو وما يعكسه تشكيلياً من الغموض والدرامية بالتضاد المحقق بين الضوء والإظلام، بالإضافة إلى انخفاض تكاليف تلك التقنية، وتتمثل مشكلة البحث في: أن الأفلام ذات الطابع الملحمي تحتاج تكاليف باهظة وامكانيات عالية، وبالتالي يُعد رصيد السينما العربية من تلك الأفلام قليل مقارنة بغيرها، وبالتالي تتمثل أهمية البحث في تسليط الضوء على ضرورة وجود معالجات سينمائية بديلة أو إضافية، تكون جذابة من الناحية التشكيلية، وقليلة التكاليف والأمكانيات. وباستخدام المنهج التحليلي الأستقرائي، يخلص البحث إلى امكانية إستخدام أسلوب الكيارسكورو بالإستلهام من السينما التعبيرية الألمانية في إعادة إنتاج العديد من الأفلام الملحمية للجمهور العربي المعاصر، ومن ثم المساهمة في صحوة الوعي المجتمعي والإنساني للشعوب وإلمامهم بالأحداث التاريخية والبطولات الهامة في تاريخ الإنسانية.

الكلمات المفتاحية

الأفلام الملحمية؛ الكياروسكورو؛ السينما التعبيرية الألمانية.

ABSTRACT

Epic films and German expressionist films have something in common, they both focus on events affecting the lives of peoples, such as wars, revolutions, historical and geographical changes, natural disasters, etc.

German expressionist films were characterized by some of subjectivity and emotional expressions, dealing with fears and human suffering, contributed to this, using Chiaroscuro technique, which reflects mystery and drama, the contrast achieved between light and dark, in addition to the low costs of this technique.

The research problem is: Epic films require exorbitant costs and high capabilities, that led to the production of these films is few compared to others, Therefore, the research importance is to highlight the need for alternative or additional cinematic reproducing that are visually attractive and have low costs and capabilities., Using the inductive analytical approach, research concludes that Chiaroscuro technique and the inspiration of German Expressionist cinema, can be used in reproducing many epic films for contemporary audiences., which contribute to awakening of societal and human awareness of peoples and their familiarity with historical events and important tournaments of human history.

KEYWORDS

Epic Films; Chiaroscuro; German Expressionism Cinema.

حقوق النشر © 2023 | لمجلة JAARS

المقدمة

باتت المتغيرات المحيطة بالإنســـان ذات تأثير عظيم على أهتماماته وما يجذب أنتباهه وترتيب أولوياته، يتضـــح ذلك جلياً في أوقات الأزمات والهزات الإنسانية العنيفة التي تصيب العالم أجمع في آن واحد، مثل الأوبئة "كوفيد ١٩" والركود الأقتصادي، والتغيرات المناخية ونقص الموارد والصراعات السياسية على مستوى العالم. ولقد كانت السينما ومازالت تؤثر وتتأثر بالمجتمع الإنساني، وتوثق الماضي، وترصد الحاضر، وتتنبأ بالمستقبل في ظل المعطيات والأحداث الراهنة والمتوقعة. وكان خير مثال على ذلك في ألمانيا منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، السينما التعبيرية الألمانية التي نشأت من رحم معاناة الشـــعب الألماني عقب الحرب العالمية الأولى، وقدمت أفلاما تعكس الصـــورة القاتمة التي كان يعاني منها المجتمع الألماني والتى اتسمت تلك الأفلام بالغموض والشك والمشاعر المُشتتة، ولاقت أثراً عظيمًا في نفوس المشاهدين ،لأنها تعبّر عن واقعهم المرير وترصده. وقد كانت إمكانيات تلك الأفلام محدودة نظراً للظروف الإقتصادية آنذاك، ورغم كل تلك التحديات إلا أن أفلام السـينما التعبيرية الألمانية تميزت بخصـائص بصـرية واضـحة وفريدة قامت على عدة عناصـر، منها الزوايا غير الأعتيادية للكاميرا، الديكور ذو الطابع التجريدي غير الواقعي، المبالغة في المكياج والأداء التمثيلي، كذلك أسـلوب الإضـاءة المتباين بين شدة الضوء وقوة الظلام/ الجلاء والقتامة والمعروف بـ الكياروسكورو: chiaroscuro، والهدف من كل هذه الأساليب البصرية هو إثارة الغموض، والتعبير عن المشـاعر الذاتية والسـوداوية والحالات الوجدانية الشـاعرية وغير المتزنة التي كانت تسـيطر على المجتمع الألماني وقتئذ.، الجدير بالذكر أنه لا زالت العديد من أبرز أفلام السـينما التعبيرية الألمانية تمثل مصـدرا للألهام ومرجعا هاما لرواد السينما المعاصرين.

تتمثل **مشـــكلة البحث** في أن الأفلام ذات الطابع الملحمي تحتاج تكاليف باهظة وإمكانيات عالية، وبالتالي يُعد رصـــيد الســـينما العربية من تلك الأفلام قليل مقارنة بغيرها. لذا **يهدف البحث** إلى تسليط الضـوء على ضـرورة وجود رؤى تصـميمية سينمائية بديلة أو إضـافية لإعادة إنتاج الأفلام الملحمية العربية، تكون جذابة من الناحية التشـكيلية، وقليلة التكاليف والأمكانيات خاصـة في ظل الأزمة الأقتصادية المعاصرة التي يعاني منها العالم أجمع.، وقد استعان البحث **بالمنهج** التحليلي الإستقرائي من خلال: تحليل ورصـد سـمات أفلام السـينما التعبيرية الألمانية، واسـتقراء أسـلوب الكياروسـكورو في تلك الأفلام، وخلص البحث إلى اقتراح تحقيق تلك السمات على أفلام السينما الملحمية العربية نظرا لما تشـترك فيه مع أفلام السينما التعبيرية الألمانية في: أن كلاهما يركز على الأحداث المؤثرة بحياة الشـــعوب، كالحروب والثورات والتغيرات التاريخية والجغرافية والكوارث الطبيعية وغيرها.**وحدود البحث**: حدود زمنية: فترة أفلام السينما التعبيرية الألمانية، حدود موضوعية: الكياروسكورو.، ويجدر الإشارة إلى وجود دراسـات سـابقة عن سـمات أفلام السـينما التعبيرية الألمانية، وعن الضـوء والظل/ الكياروسـكورو في الصـورة السـينمائية، ولكن ما يتناوله البحث ويتم تسـليط الضـوء عليه هو الأخذ من سـمات السـينما التعبيرية الألمانية (تحديدا أسـلوب الكياروسكورو) وتطبيقه على الأفلام السينمائية الملحمية العربية للأستفادة من تلك المميزات في إنتاج رؤى تصـميمية إضـافية تتناسب مع طبيعة العصر وتوجهات الدول نحو التنمية ونشر الوعي والاستدامة، وإعتماد المشـاريع والأفكار الإبداعية لتحفيز الصـناعات، خاصـة وأن الدول حول العالم تسـعى إلى تنويع أقتصـاداتها وتقليل إعتمادها على القطاعات التقليدية،و يتضـح هذا التوجه بشكل خاص في مجالات الإعلام، السينما، السياحة والترفيه، التي شهدت نموًا وابتكارًا كبيرين نتيجةً للمشاريع والأفكار الإبداعية.

السينما التعبيرية الألمانية

ظهرت التعبيرية «Expressionism» في العديد من الفنون (كالأدب - الرســم - العمارة - المســرح)، وهي أحد الأتجاهات الفنية التي أزدهرت وبشكل خاص في ألمانيا والنمسـا، حيث نشـأ الأتجاه التعبيري منذ أواخر القرن التاسـع عشـر وأوائل القرن العشـــرين في ألمانيا، وتميز بالمبالغة الشـــديدة في إظهار المخاوف الإنســـانية ومشـــاعر الذعر والريبة والترقب والخوف من الأشباح، وغيرها من المشـاعر الإنسـانية الناتجة من الآلام والعاكسـة للمعاناة، ويعد الفنان الهولندي فان جوخ Vincent van Gogh من أشهر رواد هذا الأتجاه، كذلك الفنان الروسي أوسكار كوكوشكا Oskar Kokoschka، والفنان النرويجي إدفـــار مونك Edvard Munch، حيث يركز الفنان في الأتجاه التعبيري إلى تصـوير الأسـتجابات الشـعورية الذاتية والعفوية الإنسـانية بشـكل يثير الخيال والعاطفة، من حيث إسـتخدام المبالغات، التحريف والتشـويه بأسـلوب صـارخ يغلب عليه الغرابة والعنف، وبخطوط قوية للتعبير عن صـور خاصـة من الشـعور بالشك والترقب، الرعب، الهذيان. هذا التوجه نحو التجرد والتشـويه الذي انطبع به أسـلوب الفنانين التعبيريين، كان نتاجا لتأثرهم الشـديد بالأحداث التاريخية التي عانت منها ألمانيا وقتئذ، خاصـة عقب مذابح وهزيمة الحرب العالمية الأولى (١٩١٤- ١٩١٨)، وما تبع ذلك من خلل في شتى مناحي الحياة على المستوى المجتمعي، السياسي، والأقتصـادي. كل تلك المؤثرات قادت الفنانين الألمان إلى تصـور رؤى تشـاؤمية وسـوداوية حول مصـير الإنسـان في العالم، فنقلوا ذلك إلى أعمالهم الفنية وما عكسته من شتى المشاعر السلبية والمحبطة والمخيفة عن الحاضر والمستقبل.

حقوق النشر © 2023 | لمجلة JAARS

حيث أن السينما هي لغة التواصل الإنساني بين الشعوب، ووسيلة التعبير البصري الأكثر شيوعًا وجذبًا للجمهور، شأنها شأن جميع الصـــناعات والكيانات التي تتأثر بأحوال الدول والمجتمعات، حين يتعرض مجتمع أو دولة للهجوم أو تخوض حربًا فإن كل أنظمتها ومؤسـساتها تتعرض للهجوم والتغيير أيضًا. حين إذ شاع نمط الفن التعبيري في السينما الألمانية بعد مرور عشر سنوات من الحرب العالمية الأولى.، حيث أعطت التعبيرية الألمانية رؤية شديدة الذاتية والسوداوية والشاعرية، منعكسة من أحوال البلاد عقب الحرب وما ساد من مشاعر الرعب الإنساني والدمار الأقتصادي، وصورت القلق الجماعي للمجتمع من خلال صور مشوهة وكابوسية.، ولقد اتسمت الأفلام آنذاك بالتواضع على مستوى الأنتاج السينمائي فكانت ذات ميزانيات قليلة ومحدودة، ولقد وضعت تلك الأفلام تصورا عن مفاهيم الواقع والهُوية، تستدعي الماضي والحقب التاريخية، وتتناول الخرافات والمخاوف والأساطير القديمة، وتسلط الضوء على الحاضر، وتضع تنبؤات جريئة عن بعض أحداث ورؤى المستقبل.

من أهم سمات أفلام السينما التعبيرية الألمانية:

- زوايا التصوير العالية
- الميل المفرط لزوايا الكاميرا
- مواقع/ أماكن غير قابلة للتحقق/ مستحيلة
- تقنية/ أسلوب الكياروسكورو في الإضاءة

أولاً: زوايا التصوير العالية High-angle shots

تعد اللقطات العالية/ المرتفعة من التقنيات البصرية الشائعة الأستخدام في أفلام السينما التعبيرية الألمانية، حيث يتم التصوير من مستوى أعلى المنظر، بحيث يتحقق شعورًا بالتشويش والأرتياب، ويجد المتفرج نفسه في مواجهة لقطة من منظور غير طبيعي أو متوقع مما يطرح في ذهن المتفرج العديد من التســاؤلات والأفتراضـــات والتوقعات، هذه اللقطات العالية المســتوى كانت تستخدم في كثير من الأحيان لتؤكد على عدم القدرة والضعف لشخصيات البشر حيث يبدو حجمها في اللقطة صغير وهامشي، نظرًا لمواجهتها تحديات تفوقها قوة.

ثانياً: الميل المفرط لزوايا الكاميرا Excessive camera angles

تتضمن هذه النوعية من اللقطات زوايا متطرفة، مثل الزوايا المائلة أو المعوجة، وفي الغالب فإن هذه الزوايا تتسبب في تشوه المنظور والنسب في المشهد أو الموضوع المصور، ولقد تم أستخدام الزوايا المفرطة للكاميرا في أفلام السينما التعبيرية الألمانية للتعبير بصريًا عن الحالة النفسية غير المستقرة للشخصيات، وتأكيد حالة الأرتباك وعدم الإستقرار والأضطراب النفسي لشخصيات الفيلم، ونقله وإنعكاسه على المتفرجين.

ثالثاً: مواقع/ أماكن غير قابلة للتحقق/ مستحيلة Unattainable sets

تعد الأماكن والمواقع غيرالقابلة للتحقق علامة شديدة التمييزلأفلام السينما التعبيرية الألمانية، تم تصميم هذه الأماكن بشكل غريب ومتشابك كالحلم، مع إستخدام زوايا مستحيلة ومنظور مشوه وأشكال مبالغ فيها من حيث النسب والأحجام، وذلك لنقل الشعور بالبيئات غير الحقيقية أو الخيالية والمستلهمة من الكوابيس والباعثة للمخاوف والرعب، حيث توحي المواقع المشوهة والضيقة إلى شعور الشخصية بالمحاصره والقلق، بينما توحي المواقع شديدة الإتساع والفراغ إلى الشعور بالضياع والعزلة،وهذه المشاعر تنعكس على كل من شخصيات الفيلم والمتفرجين.

رابعاً: تقنية/ أسلوب الكياروسكورو في الإضاءة Deep shadows / Chiaroscuro lighting

الكياروسكورو هو تقنية يستخدمها صناع الأفلام لتحقيق تباين شديد بين مناطق الضوء والظلام في لقطات الفيلم، وغالباً ما يتم إستخدامه أيضا كنقلة بصرية تعبيرية من مشهد لآخر، حيث يفاجيء الرائي بالفرق الشاسع في اللون، ومدى الوضوح أو العتمة أو الجو العام في المجمل لكل لقطة، يساعد هذا على إعطاء الفيلم مظهرًا شهيرًا دون الحاجة إلى إستخدام أي تأثيرات خاصة أو معدات معقدة مثل آلات الضباب أو الصواعق.وهذا يعني أن إستخدام أسلوب أضاءة كياروسكورو مناسباً ليعوض عن قلة أو عدم وجود الكثير من الأمكانيات، ويعد إستخدام تقنية الكياروسكورو من الأدوات القوية المؤثرة حيث يخلق أرتباطًا عاطفيًا مع المشاهدين فيمكّنهم من رؤية العمق في الظلام حيث يمتلك ما لا يمكنهم رؤيته فيفرض قوة كبيرة عليهم تؤكدها الدراما والتوتر والتشويق المصاحبين له، دون الحاجة إلى الحوار أو تأثيرات الصوت.

حقوق النشر © 2023 | لمجلة JAARS

خامسا: الكياروسكورو CHIAROSCURO

يجب الإشـارة إلى أن الكياروسـكورو chiaroscuro كان أحد تقنيات الرسـم الزيتي التي سـادت عصـر النهضـة، وهي كلمة إيطالية تعني النور/ الضـــوء chiaro والظل/ الظلام oscuro، حيث يتأكد بها التباين الشـــديد بين الضـــوء والإظلام، فتبدو اللوحات الفنية أكثر درامية وذات تأثير قوي في نفس المُشـاهِد، نتيجة ما يؤكده التضـاد بين الأسـود والأبيض من تجسـيم للكتل وسطوع للضوء في مقابل شدة الظل وعتمة الظلام.، كذلك تتحقق تقنية الكياروسكورو في اللوحات سواء كانت أحادية اللون أو بلونين متباينين، بحيث تتأكد القوة والتضـــاد بين الفاتح والغامق، الضـــوء والإظلام، الواضـــح والخافت... وهكذا، ويتم في هذه التقنية إغراق خلفية المشـــهد/ اللوحة في الظلام والتلاعب بحركة الظلال، بحيث يتم جذب المُشـــاهِد للأنتباه والتركيز على العناصر المُضاءة، التي يُقصد تمييزها عن باقي المشهد وبالتالي يصل للمُشاهِد رسالة بصرية ذات تأثير شعوري معين، ويعد ليونـاردو دا فينشـــي Leonardo da Vinci ، مـايكـل أنجلو كـارافـاجيو Michelangelo Merisi da Caravaggio، ورامبرانت Rembrandt من أشهر فناني تلك التقنية، أنظر شكل (١)، (٢).

شكل (1) لوحة الجيوكندا/ الموناليزا- ليوناردو دافنشي حيث استخدم الكياروسكورو في تحقيق التباين بين الإضاءات والظلال الخفية على الوجه واليدين والملابس بمهارة ودقة عاليتين.

شكل (2) لوحة نداء الرسول ماثيو – مايكل أنجلو كارافاجيو حيث استخدم الكياروسكورو في التضاد الشديد بين الضوء الناصع على أجزاء من أوجه الأشخاص، والظلال القاتمة في الخلفية شديدة الإظلام، مما يحقق الشعور الدرامي في المشهد حيث تبدو الشخصيات الموجودة في حالة صدمة وترقب.

ومن أشهر أفلام السينما التعبيرية الألمانية التي تحقق فيها تقنية الكياروسكورو

- Destiny (1921)
- The Cabinet of Dr. Caligari (1920)
- From Morn to Midnight (1920)
- The Golem: How He Came into the World (1920)
- Nosferatu (1922)
- Warning Shadows (1923)
- The Hands of Orlac (1924)
- Waxworks (1924)

ولقد تأثرت الســـينما العالمية فيما بعد بالتعبيرية الألمانية، خاصـــة في أســـتخدام أســـلوب الكياروســـكورو في الإضـــاءة Chiaroscuro حيث أستمر وتطور بعد ذلك إلى أفلام النوار (الفيلم الأسود Noir film) وأفلام الرعب **(**Horror films**)**، ورغم شـيوع الكياروسـكورو منذ ما يقارب القرن من الزمان، ورغم قيام مخرجي الأفلام بتطوير تقنيات الإضـاءة والتقنيات السـينمائية الإبداعية، إلا أنه يعد من أفضـل تقنيات الإضـاءة في السـينما المعاصـرة، ولازال يُسـتخدم لتحقيق تأثيراته وجمالياته المميزة بالأفلام الحديثة. ولقد شـهدت السنوات الأخيرة عودة تقنيات الأفلام الكلاسيكية لتحقيق ثورة سينمائية، يمكن رؤية عودة

jaars-fa.helwan.edu.eg

حقوق النشر © 2023 | لمجلة JAARS

الكياروسكورو في العديد من الأفلام من إخراج مخرجي هوليوود مثل فيلم2014 Gone Girl لـــ دايفيد فينشر، وفيلم Big eyes 2014 لـــــ تيم برتون ويعتبرفيلمه Edward Scissorhands النسـخة المباشـرة من Dr. Caligari ، وفيلم The Departed 2006لمارتن سـكورسـيزي، ومن أمثلة الأفلام الشـهيرة أيضـا التي اسـتخدمت هذه التقنية: فيلم "Sin City" (2005)، فيلم"The Good Girl" (2002) ، فيلم"No Country for Old Men" (2007) .

وبانتقال الصـورة السينمائية من الأفلام الأبيض والأسود إلى الكياروسكورو، أكتشـف مخرجوا الأفلام مرة أخرى الفيلم كشـكل فني يمكنه إلتقاط جمال العالم بشكل لا يمكن لأي وسيلة أخرى. ويبدو المخرجين مستخدمو هذه التقنية كأنهم يعيشون في عالمين مختلفين في نفس الوقت: عالم مظلم حيث يسود الظلام، في حين يوجد عالم آخر مضـاء بالضـوء النهاري بالكامل، أو عالم واحد حيث يظهر كل شيء مشرقًا مع الألوان المتنوعة، لكن يوجد عالم آخر مظلم تمامًا مع اللون الأسود والداكن.

١,٥ جماليات الكياروسكورو في مجموعة من أفلام السينما التعبيرية الألمانية

رغم تعدد وتنوع الأفلام التي تحققت فيها تقنية الكياروسكورو، إلا أن البحث سيتناول نماذج من أفلام السينما التعبيرية الألمانية تحديدا ويرصد جماليات الكياروسكورو فيها على سبيل المثال لا الحصر لكونها كانت الرائدة في هذه التقنية منذ البداية.

٢,٥ جماليات الكياروسكورو في فيلم "مكتب الدكتور كاليجاري" (١٩٢٠) "The Cabinet of Dr. Caligari"

تعد جماليات الكياروسكورو في هذا الفيلم علامة بارزة في تاريخ السينما ولها تأثير كبير على العديد من صناع الأفلام والفنانين في السـنوات التي تلت إصـداره، يتناول الفيلم تجارب الكتاب كجنود في الحرب العالمية الأولى، وعدم ثقتهم في القيادة الاستبدادية، فأختار المخرجون تشويه الواقع عمدًا لتشويش الجمهور لإحداث الشعور بالزمن بدلاً من تصوير حقيقي أو واقعي.، أستخدمت إضاءة الكياروسكورو في الفيلم بشكل ملفت ومثير، مع ظلال عميقة وتباينات واضحة بين الضوء والظلام، خلق هذا شعورًا بالقلق، الغموض، الرعب والتشويق. ولقد أستخدمت الإضاءة بشكل كبير في المشاهد التي تجري في خيمة الكرنفال التي يؤدي فيها الدكتور كاليجاري، وفي المشهد الذي يتم فيه إختطاف البطلة جين من قبل سيزاري الشخص المنوم مغناطيسيًا (شكل 3). ولقد أتسمت المواقع التعبيرية في الفيلم بالإلتواء والتشوه، مع خطوط غريبة وزوايا غير مألوفة، حيث أن الهندسة المعمارية والعناصـر في الفيلم لا تهدف إلى أن تبدو واقعية، بل الهدف إحداث اضـطراب للمشـاهد وخلق شـعور بالقلق وتأثر بالحالات النفسية للشخصيات والمزاج العام للفيلم الذي يركزعلى التنويم المغناطيسي والعقل اللاواعي.

ويعد مشهد "زائر الليل" من أبرز المشاهد ذات التأثير الشعوري والذهني في الفيلم، والذي فيه يظهر هيئة الشخص الواقف أمام الشرفة وقد كست الظلال ملامحه وحجبها الظلام، مما يوقع في نفس المتفرج ترقبا وخوفا من حدوث شر أو خطر ما، خاصة مع ظهور عناصر الديكور بشكل مدبب وحاد بخطوط مائلة ومنكسرة بشكل عدائي. أنظر شكل (4)

شكل (3) لقطة من فيلم "كابينة د. كاليجاري" يظهر فيها التشويه المتعمد للمنظور، والخطوط المدببة لعناصر المنظر، كذلك التباين الشديد بين الضوء والظل الذي يحققه الكياروسكور والتي ترسل شعورا بالإضطراب والقلق.

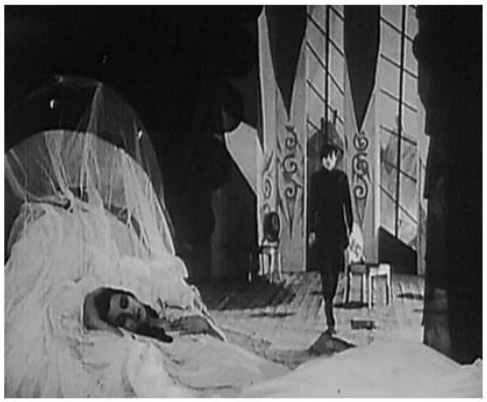

شكل (4) لقطة من فيلم "كابينة د. كاليجاري" يظهر فيها عناصر الديكور بشكل مدبب وحاد بخطوط مائلة ومنكسرة بشكل عدائي، كذلك التباين الشديد بين الضوء والظل الذي يحققه الكياروسكور والتي ترسل شعورا بالترقب وتوقع الخطر.

حقوق النشر © 2023 | لمجلة JAARS

٣,٥ جماليات الكياروسكورو في فيلم From Morn to Midnight (1920)

هذا الفيلم للمخرج كارلهاينز مارتن ويعد من الأفلام التي جسدت أساليب وأهتمامات التعبيرية الألمانية، حيث يجمع بين المنظور المشوه والاصطناعية مع خطوط سميكة وواضحة لخلق تمثيل بصري ليس للطبيعية ولكن للتوتر النفسي العميق للفنان، ويعكس الشعور بالأنعزال عن العالم الخارجي المليء بالخطر ، ويتسم تصميم المناظر بالأسلوب المسرحي المسطح انظر شكل (٥).

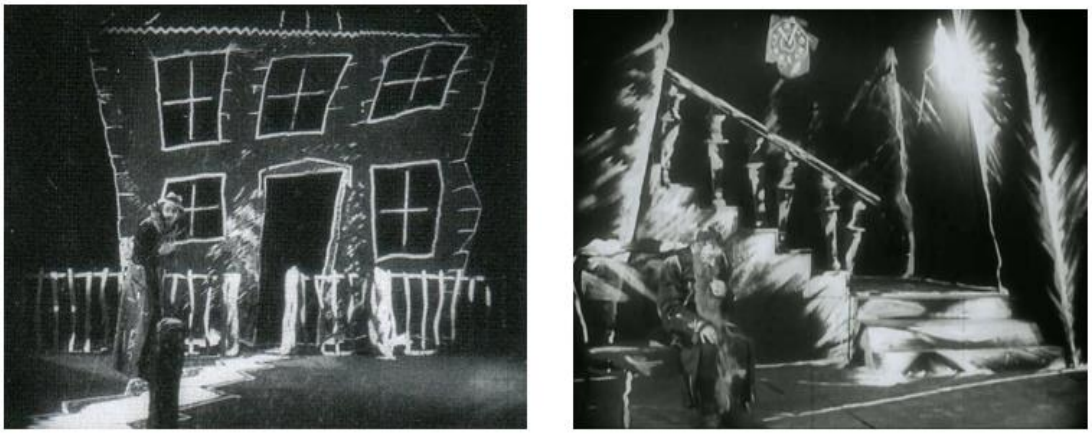

شكل (5) لقطات من فيلم From Morn to Midnight ويتضح فيه القطع المنظرية المسطحة، والمنظور المشوه، وأسلوب الكياروسكورو في الإضاءة لتأكيد الشعور بالخطر والإنعزال عن العالم.

٤,٥ جماليات الكياروسكورو في فيلم Destiny (1921)

تركز قصة الفيلم على العلاقة بين الحب والموت، وكأنه يمثل صراع الحياة والموت، للمخرج فريتز لانج Fritz Lang، لذا كان الكياروسكورو تقنية مناسبة جدًا لتأكيد التباين القوي بين الأضداد في الفيلم، الضوء والظل، الحب والموت، هذا التباين حقق شعورًا متزايدا بالعمق والأبعاد في مشاهد الفيلم، وكانت تستخدم الظلال في كثيرٍ من الأحيان لتعترض أو تخفي الشخصيات بشكل جزئي، مما يزيد الشعورِ بالغموض والتشويق،

ومن أبرز المشاهد الهامة في الفيلم ذاك الذي تدخل فيه البطلة فتاةٌ شابةٌ تدعى ثيا إلى العالم السفلي لمحاولة إنقاذ حبيبها من الموت، يغرق المشهد في الإظلام مع وجود مصادر قليلة تسلط الضوء على محيط المشهد والشخصيات. يحقق أستخدام الكياروسكورو في هذا المشهد شعورًا ملموسًا بالخطر وعدم اليقين مما سيحدث لاحقا. شكل (6).

شكل (6) لقطات من فيلم DESTINY – مشهد العالم السفلي- حيث يحقق التباين الشديد بين الضوء والظل/ الكياروسكورو مزيدا من العمق والأبعاد، واخفاء الشخصيات بشكل جزئي يرسل شعورا بالغموض والتشويق.

حقوق النشر © 2023 | لمجلة JAARS

٥,٥ جماليات الكياروسكورو في فيلم نوسفيراتو Nosferatu (١٩٢٢)

يعتبر فيلم "Nosferatu" المصدر الأول لأفلام مصاصي الدماء Vampires، والذي وضع معيارًا لكل فيلم رعب يأتي بعده. ويعد تناولاً خفيًا لرواية برام ستوكر Bram Stoker "دراكولا"وهو واحدًا من أكثر أفلام الرعب تأثيرًا بصريًا. في هذا الفيلم تم أستخدام الظلال العميقة والتباين الواضح بين الضوء والظلام بشكل كبير في المشاهد التي يتسلل فيها مصاص الدماء، الكونت أورلوك، في الظلال أو يخرج من تابوته (شكل 7)، كما أن استخدام الإضاءة المنخفضة يعزز الأجواء القوطية للفيلم ويساهم في الشعور العام بالقلق.

ولقد أتسمت المواقع التعبيرية في الفيلم بالتصميم المشوه للنسب وعدم الإلتزام بالهندسة المعمارية وذلك تماشيا مع الخوارق والخيال وعدم الواقعية، تم تأكيد ذلك أيضا بزوايا الكاميرا المائلة (شكل ٨)

شكل (7) مشهد خروج الكونت أورلوك من التابوت، والإضاءة المنخفضة تعزز الأجواء القوطية وترسل شعورا عاما بالقلق.

شكل (8) مشهد ارتياد الكونت أورلوك للسفينة، وتظهر زاوية الكاميرا المائلة، والمنظور المعماري المشوه ليؤكد الشعور بعدم الواقعية والأعمال الخارقة.

٦,٥ جماليات الكيارسكورو في فيلم متروبوليس Metropolis 1927:

يعد فيلم متروبوليس Metropolis 1927 للمخرج الألماني فريتز لانغ* Fritz Lang ، من الأفلام التي لا زالت تمثل مصدر إلهام لرواد السينما في الوقت المعاصر لأفلام الخيال العلمي والسياسي، ومرجعا هاما للكثير من المصممين والمعماريين ومخططي المدن، حيث تناول هذا الفيلم رؤية مستقبلية وتقنية تعد لافتة للأنتباه وقتئذ، حيث قدم تصوراً لشكل المدينة المستقبلية بناطحاتها الشاهقة ذات تصميم هندسي حاد ومدبب، انظر شكل (9) حيث يقطنها الأغنياء من الرأسماليين، ويبدو التباين الشديد بينها وبين مساكن عمال المصانع الفقراء المهمشين،

ويعد فيلم متروبوليس من أوائل الأفلام التي تناولت بعدا رؤيويا مستقبليا للمدينة الفاسدة ذات التصميم الهندسي العمودي. وتتحقق عناصر الكياروسكورو في التضاد بين الأبيض والأسود، بين بقع الضوء المحدودة في المشاهد بالنسبة لمساحات الإظلام التي تغرق باقي تفاصيل اللقطات، ليوحي بما يعانيه الطبقة العاملة بالمصانع من التهميش والتجاهل والأنتهاك لآدميتهم، يؤكد ذلك من الناحية التشكيلية تلك القيم الجمالية للتصميم المعماري الذي تميزت به العمارة المستقبلية في الفيلم، والتي تمازج فيها أساليب الهندسة المعمارية القديمة المتوارثة والمتمثلة في الطراز القوطي القديم، وبين الطراز المعماري المستقبلي.

يتحقق أيضا التضاد للمزيد من التأثير على الجانب الشعوري للمتفرج بما يقدمه الفيلم من رسالة ضمنية تظهر الصراع المحتدم بين الإنسان والآلة، وبين الطبقات الفقيرة وطبقة الرأسماليين الأغنياء، فيبدو العالم في المستقبل مكان قاسٍ وطاحن للأنسانية، حيث تبتلع تروس الآلات الوحشية آدمية البسطاء وتمتص قواهم البدنية والنفسية، أنظر شكل (10).

* فريتس لانغ Fritz Lang (1890-١٩٧٦) مخرج سينمائي ألماني، درس العمارة ثم تحول إلى دراسة الفنون في ميونيخ وباريس، كتب الكثير من السيناريوهات، وأخرج العديد من الأفلام، في فيلم متروبوليسMetropolis، قدم مدينة خيالية عملاقة تقبع تحت سيطرة ديكتاتور مولع بالسلطة والسيطرة على العالم. من السمات التي تتميز بها أفلام لانغ، الاهتمام بإظهار شخصيات استثنائية مريضة بالتملك واكتساب سلطة وقدرات لانهائية مثل «شخصية الديكتاتور» و«شخصية القاتل المهووس» و« شخصية المجرم الخارق.«

حقوق النشر © 2023 | لمجلة JAARS

شكل (9) لقطة من فيلم متروبوليس وتبدو فيه ناطحات السحاب المستلهمة من العمارة المستقبلية والعمارة القوطية.

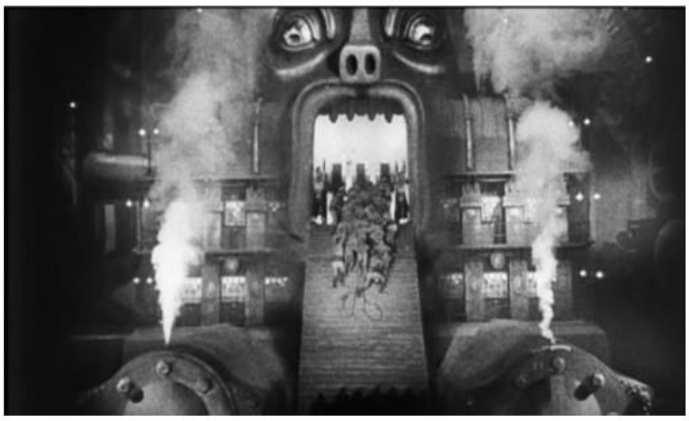

شكل (10) لقطة من فيلم متروبوليس وتبدو فيه بوابة المصانع وكأنها كائن مخيف يبتلع العمال ويُنهك قواهم البدنية والنفسية، وتتحقق تقنية الكياروسكورو بإغراق المشهد في الظلام وظهور بقعة الضوء في فتحة بوابة المصنع لتظهر من خلالها أشباح أجساد العمال المنهكة المتعبة وهي تسقط من أعلى إلى أسفل، كذلك الإضاءة الخافتة السفلية على وجه الكائن المجسم ترسل شعورا بالرعب والرهبة، وكأن هؤلاء العمال الفقراء يتم طحنهم داخل بوابة الجحيم.

٢ الصورة الظلية Silhouette في السينما

ترجع بواكير الصورة الظلية إلى تلك الرسوم التي تواجدت على جدران الكهوف ومعابد العصور القديمة، وفي القرن الثامن عشر إنتشرت الصورة الظلية Silhouette بشكل كبير إلى أن حل محلها فيما بعد التصوير الفوتوغرافي الحديث.، وفي لغة السينما يعد الظل من أولى أشكال المؤثرات البصرية والخدع السينمائية، حيث تعد الظلال المخيفة الناتجة من مصدر الإضاءة السفلية هي الخدعة الأولى في بدايات أفلام السينما منذ الأفلام الصامتة. فمشهد الظلال المتحركة على الجدران خلف لهب المشاعل أو ضوء الشموع، والتي ترسم هياكل لوحوش أسطورية وكائنات خيالية ولدت من رحم الظلمة، حيث إن هذا المشهد خلدته أفلام الرعب والإثارة في لقطات الترقب suspension scene.

ولقد مثلت الصورة الظلية Silhouette جزءا كبيرا من مشاهد السينما منذ بداية أربعينات القرن العشرين وحتى أواخر الخمسينات، حيث أنتج العديد من المخرجين والسينمائيين سلسلة من الأفلام الأسطورية باستخدام الصور الظلية، لتحقيق المزيد من التشويق، الشعور بالعزلة، أو لإضفاء صبغة رومانسية على العالم، وذلك فيما يُعرف بـــ "الفيلم الأسود" أو "فيلم الظلال أو فيلم الظلام" Noir Film، الذي تطلب أسلوباً بصرياً قائماً على التصوير بالأبيض والأسود، الذي يعود بجذوره إلى التصوير السينمائي الخاص بالسينما التعبيرية الألمانية، ولقد أستخدم العديد من المخرجين أسلوب الإضاءة والظلال، لنقل العديد من المعاني المختلفة إلى نفس المُشاهد "أسلوب الكياروسكورو"، مثل الشعور بالإرتياب والتهديد كما في فيلم "الشك" Suspicion شكل (١١) لـــ "ألفريد هيتشكوك"* Alfred Hitchcock، والذي لُقب برائد التشويق، أو الشعور بالوحدة والإنعزال كما في أفلام "روجر ديكنز"♦ Roger Deakins، كذلك ولقد استخدم "ستيفن سبيلبرج"• Steven Spielberg الصور الظلية لنقل حالات شعورية متنوعة منها على سبيل المثال: منح المُشاهد الشعور بالحرارة القاسية للشمس في الصحراء، في فيلم الإثارة والمغامرة "سارقو التابوت الضائع" Raiders of the Lost Ark 1981 شكل (١٢)، ترويع الناس من الماء، في فيلم "الفك المفترس" Jaws شكل (١٣).

ومن خلال العرض السابق لبعض أعمال المخرجين، تتضح قدرة الصورة الظلية على تجاوز مجرد سرد النص، فالصور الظلية تثير الكثير من المشاعر والتوقعات من خلال اللقطة التي تُعرض على الشاشة، لذلك أصبحت العديد من لقطات الصور

* ألفريد هيتشكوك Alfred Hitchcock (1899 - 1980)، منتج ومخرج أفلام إنجليزي، يُعد من أهم مخرجي السينما في أفلام الرعب، ومن أشهر أفلامه النافذة الخلفية Rear Window (١٩٥٤).

♦ روجر ديكنز Roger Deakins (1949)، مصور سينمائي بريطاني، يُعد أحد رواد الإضاءة في السينما المعاصرة.

• ستيفن سبيلبرج Steven Spielberg (1946)، هو مخرج وكاتب ومنتج أمريكي ، يُعد من أفضل مخرجي السينما، ومن أشهر أفلامه الفيلم الحربي Saving Private Ryan عام ١٩٩٨.

حقوق النشر © 2023 | لمجلة JAARS

الظلية لبعض الأفلام، صـوراً تعكس قيماً تشـكيلية ودرامية، لها دلالات خاصـة، معروفة ومشـهورة، وتثبت أن الصـور الظلية ليست قادرة فقط على تحديد المزاج| الجو العام Mood للقطة، بل وعلى تعريف وتوضيح الفيلم بأكمله.

وعليه تتمثل القيمة التشكيلية للصورة الظلية في أنها تجمع بين قيمتين متناقضتين ترتبطان بالأبيض والأسود، أو اللون الأحادي، ذلك لأن مفهوم الأبيض والأسود يبدو أكثر ثراءً وأكثر تأثيرا بحكم توزيع الظلال، والتدرج ما بين الظلام والنور، وهذا ما يؤكد على مفهوم (قليل يُغني- خير من- كثير يُلهي) less is more، أما القيمة الدلالية فتعني ما تلعبه الصـــورة الظلية من دور في إظهار وتوصـيل معنى معين وتوجيهه إلى وعي المُشـاهد، حيث يحقق ظهور الخيال الأسـود أو الداكن قوّة درامية هائلة، فهو يخفي كل العناصـر الأخرى، ويضـع المُشاهد في حالة من الترقب والغموض الذي يتحقق نظرا لما تتميز به الصـورة الظلية من التجريد الذي يعد سبيلاً إلى صفاء الشكل وحبكة التكوين، وهو فن يجمع بين اللغز والبيان، في صـور موجزة بسيطة ومُعبّرة.، وهو ما يتفق مع ما يحققه الكياروسكورو في السينما التعبيرية الألمانية كما سبق وأشار البحث.

شكل (11) لقطة من فيلم الشك Suspicion لهيتشكوك

شكل (12) لقطة من فيلم سارقو التابوت الضائع لـ ستيفن سبيلبرج

شكل (13) لقطة من فيلم الفك المفترس لـ ستيفن سبيلبرج

٣ الأفلام السينمائية الملحمية

ارتبط مفهوم الملحمة في اللغة بمعنى الصـراعات والبطولات في الحروب والمعارك، وتشير كلمة الملحمة في المعجم الصـغير إلى عملٌ قَصَصـيٌّ له قواعدُ وأُصـول، يشـاد فيه بذكر الأبطال والملوك، قد يكون البعض منها مستلهم من الخوارق والأساطير، والبعض الآخر من أحداث تاريخية حقيقية وأناس فعليين، وقد تكون شـــعريا أو نثريا، وتعد من الموروثات الثقافية التي يتناقلها كل شـعب من الشـعوب عن بطولات أجداده وأسـلافه، أو عن بطولات وخوارق لأبطال من ثقافات ومجتمعات أخرى في أزمنة قديمة.، ومن الجانب الأدبي تتسـم الملحمة بالترابط والتسـلسـل بحيث يعتمد كل حدث فيها على ما يسـبقه، ومن أشـهر الملاحم العالمية ملحمة الإلياذة والأوديسا1♦، ملحمة جلجامش2♣، المهابهاراتا والراميانا والشاهنامة*،

♦ الإلياذة والأوديسا: تعد أحد أعظم ملاحم الأدب الغربي الكلاسيكي، حيث حقق فيها الشاعر الإغريقي «هوميروس» أسس الشعر الملحمي شكلًا ومضمونًا. وتُمثل الإلياذة الرؤية الملحمية الشعرية لحرب طروادة، وهي حربٌ نشبت بين اليونانيين والطرواديين لمدة عشر سنوات، يذكر المؤرخون أن هذه الحرب وقعت بين القرن ١٢ أو ١٣ ق.م، و" الإلياذة " مشتق من "إليون" أحد أسماء مدينة طروادة التي تدور فيها أحداث الملحمة، وسُميت الأوديسا باسم بطل الملحمة الإغريقي "أودسيوس".

♣ جلجماش تُعد من أقدم أشكال الملاحم في الشرق الأدنى (٢١٠٠-٢٣٠٠ق.م) والتي تغنى بها السومريون في حروبهم، عن الملك جلجامش الذي عاش في مدينة أوروك «الوركاء» الواقعة في وادي الرافدين على الضفة الشرقية لنهر الفرات، وقد نُسجت حول سيرته العديد من القصص الخارقة والأسطورية، التي تسرد أخبار بطولاته العظيمة، وسعيه الحفيف إلى معرفة سر الحياة الخالدة.

* المهابهاراتا والراميانا والشاهنامة من أشهر الملاحم الهندية التي تتضمن أخبار بطولات وصراعات أسطورية، مزيج من الأحداث التاريخية الواقعية والأساطير الخيالية.

حقوق النشر © 2023 | لمجلة JAARS

والجدير بالذكر أن الأدب العربي اشـتهر بالكثير من الملاحم، وكان للشـعر العربي الملحمي دوراً فعالاً في إثراء الفكر العربي بشكل عام. ومن أشـهر الأعمال الملحمية المدونة باللغة العربية على سبيل المثال لا الحصـر: سيرة سيف بن ذي يزنO (3)، سيرة علي الزيبق∞، سيرة ذات الهمة∇، تغريبة بني هلالω، سيرة عنترة بن شداد*.

تتسـم الأفلام ذات الطابع الملحمي بأنها تتناول أحداث ذات طابع إنسـاني على نطاق درامي واسـع. حيث تحتل القصـة بزمانها ومكانها وشـخصـياتها وأزيائها وموسـيقاها التصـويرية حيزا كبيرًا وبارزًا، وتقوم الأفلام الملحمية، التاريخية تحديدًا على حدث زمني حقيقي، أو قد تعتمد على الخيال والاستلهام من الأساطير والخرافات، أو على سيرة ذاتية لشخصية بطولية، وقد تناولت معظم الأفلام الملحمية الشـهيرة قصـص لأبطال ومحاربين، ملوك، قادة وعسـكريين، والعديد من الشـخصـيات المؤثرة وذائعة الصيت في العالم من مختلف الحقب الزمنية، كذلك تركز الأفلام ذات الطابع الملحمي على الأحداث التي تؤثر على حياة الكثير من الناس كالحروب والثورات، والتغيرات التاريخية والجغرافية والعمرانية والكوارث الطبيعية وغيرها من الأمور التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالإنسانية، وعليه فإن الأفلام الملحمية تشترك مع أفلام السينما التعبيرية في ذلك التناول.

وغالباً ما تكون الأفلام الملحمية ذات ميزانيات ضـخمة من حيث الإنتاج، نظراً لأنه يتم تصـوير مشـاهدها في المواقع الحية، والمواقع التي تُبنى لتحاكي الحقبة الزمنية لقصـة الفيلم، الأمر الذي يتطلب أيضـا توفير أزياء خاصـة، والتدريب على لهجات قد تعود إلى أزمنة بالغة القدم، كذلك فإن التنقل من مشـهد لآخر أو من بيئة مكانية وزمنية لأخرى يتطلب إعدادات خاصـة وتقنيات متطورة لتقدم رؤية تجذب المتفرج وتسترعي إنباهه وتؤثر في ذهنه وعاطفته.

من خلال العرض السـابق لجماليات الكياروسـكورو والقيمة التشـكيلية والدلالية للصـورة الظلية، وجدت الباحثة أن اسـتخدام الكياروسكورو يُعد من الوسائل الأكثر مناسبة في إعادة معالجة مشاهد الأفلام ذات الطابع الملحمي وذلك لعدة أسباب منها:

- أن أستخدم الصورة الظلية بالأبيض والأسود وتأكيد أسلوب الكياروسكورو يُعد مناسبا للتعبير عن الفترات التاريخية الماضية التي تتناولها الأفلام ذات الطابع الملحمي، ذلك لأن إعادة عرض أحداث تاريخية تعتبر نوعا من Flash-back، وكما أشار البحث سابقا فإن طبيعة التذكر واستعادة أحداث الماضي لا تبالي بالألوان قدر مبالاتها بالرموز والمضامين.
- تحقق نوعا من التأثير الدرامي الناتج من إخفاء التفاصيل، الذي يثير فضول المتفرج، حيث يقوم المخ بتكملة الصور والتفاصيل الغامضة المبهمة.، كذلك المساعدة على تلافي التفاصيل الصاخبة التي تشتت المُشاهد وتصرفه عن المضمون التاريخي، والاكتفاء بتقديم صورة دلالية، ترمز إلى المعالم المميزة لمباني وعمائر الفترة الزمنية التاريخية التي يتناولها الفيلم الملحمي.
- تعمل على جذب انتباه المُشاهد وإثارة تساؤلاته، حيث تؤثر الظلال المتحركة في نفس المتفرج وتولّد لديه العديد من المعاني المختلفة، وتكوين صور مجردة تقود إلى مجموعة من الدلالات والمعاني.
- أستخدم الصورة الظلية المتحركة Animation Silhouetteيُعد بديلا مناسبا في حال صعوبة تصوير المواقع التاريخية، أو في حالة تهدمها وتغير معالمها عما كانت عليه في الماضي.

وبناءا على ما تقدم ومن خلال العرض السابق يقترح البحث استخدام تقنية الكياروسكورو باستخدام الصورة الظلية الرقمية في إعادة معالجة مشاهد الأفلام العربية ذات الطابع الملحمي، وعليه تم تقديم المثال التطبيقي التالي:

O سيف بن ذي يزن: ملحمة عربية شعبية نُسبت إلى أحد حكام اليمن المسلمين في أواخر القرن السادس، تقوم على الحكي التاريخي وسرد محموعة من البطولات الخارقة للبطل سف بن ذي يزن، ورحلاته المتواترة بين اليمن وأثيوبيا ومصر.

∞ سيرة علي الزيبق: ملحمة من التراث الشعبي العربي، تشير إلى شخصية علي الزيبق التي اختلف المؤرخون حول كونه شخصية حقيقية أو خيالية، ولكن المتفق عليه أنه كان رمزا للمقاومة الشعبية ضد الفساد وصورة من محاولة تحقيق آمال الأمة العربية الإسلامية.

∇ سيرة ذات الهمة: ملحمة من السير الشعبية العربية، وبطلتها إمرأة، عُرفت بلقب ذات الهمة، تطوي هذه الملحمة في طياتها رسالة نبيلة هي الحث على الدفاع عن الأراضي العربية الإسلامية ضد المستعمر الغاصب.

ω تغريبة بني هلال/السيرة الهلالية: من الملاحم العربية الطويلة، جمعت بين سير شخصيات حقيقية وبين الخيال الشعبي، وأحداثها تدور في مناطق متفرقة حيث تنقلات وترحال بني هلال من الجزيرة العربية إلى صعيد مصر ومنه إلى شمال أفريقيا، وما صاحب ذلك الترحال من صراعات وبطولات.

* سيرة عنترة بن شداد: تعد من الملاحم التي جمعت بين القصة ورواية الأخبار والشعر والفروسية، وهي نموذج للتمرد على العنصرية، وانتصار القيم الإنسانية النبيلة في إطار من الشجاعة والبطولة والمواجهة.

حقوق النشر © 2023 | لمجلة JAARS

٤ مثال تطبيقي:

إعادة معالجة بعض مشاهد الفيلم السينمائي ذو الطابع الملحمي "الناصر صلاح الدين" باستخدام تقنية الكياروسكورو (من عمل الباحثة) يعدّ فيلم الناصر صلاح الدين علامةً بارزةً على رأس الأفلام الملحمية والعربية بشكل عام، حيث ضم الفيلم العديد من المعارك والمواجهات القتالية والصراعات بين العديد من الجيوش، وتناول بطولات الناصر صلاح الدين الأيوبي والعديد من مواقفه كقائد وإنسان وقدوة، رغم ما شاب الفيلم من العديد من الأخطاء سواء التاريخية أو الفنية، إلا أنه يُعد أحد أكبر وأضخم فيلم ملحمي من ناحية الإنتاج المادي وتصميم المشاهد والمعارك والحشود.، تم إنتاج فيلم الناصر صلاح الدين عام ١٩٦٣، قام بتصميم المناظر: حبيب خوري، روبرت شارفبرج، ديكور: أنطوان بولنيرويس، اكسسوار: شادي عبد السلام، جبرائيل كراز، ومن إخراج: يوسف شاهين.

يغلب على الفيلم أجواء الصراعات والتناقضات والتخطيطات والمواجهات، يتضح ذلك جليا في مشاهد المواجهات والمعارك بين جيش صلاح الدين وجيوش الفرنجة، ومشاهد التخطيطات التي يشوبها الترقب والتربص بين أفراد أمراء الفرنجة لمحاولة الإيقاع بين صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد، لزرع الفتنة وتأجيج الحرب ونقض هدنة السلام. لذلك وجدت الباحثة أن فيلم الناصر صلاح الدين مثالا مناسبا ليكون نموذجا يتم تطبيق تقنية الكياروسكورو على مشاهده وإعادة إنتاجه بأستخدام الصور الظلية الرقمية Silhouette التي تحقق المتعة البصرية والقيم الجمالية الناتجة من التقابل بين الضوء والظل، الكتلة والفراغ، الحركة والسكون كسمات مميزة. ولأن الظلال المتحركة توقع في نفس المُتلقي العديد من المعاني المختلفة، وتثير خياله وأهتمامه بتكملة باقي التفاصيل المخفية من الصورة، ولذلك تشير الباحثة إلى إمكانية تحقيق هذه المعالجة بإستخدام برامج الجرافيك والتحريك الحديثة بميزانية بسيطة، وبتجهيزات منخفضة التكاليف، وبثّها عبر مواقع شبكة الإنترنت مجاناً أو بتكلفة رمزية، لتعود بالفائدة على أكبر عدد من المُشاهدين، مع تصحيح ما شاب فيلم "الناصر صلاح الدين" من أخطاء تاريخية وفنية، وبالتالي تكون هذه مبادرة أولية يتبعها معالجات أخرى لأفلام تاريخية وملحمية بهدف نشر الوعي المجتمعي والإنساني، والإلمام بالأحداث التاريخية والبطولات الهامة في تاريخ الإنسانية.، على أن يتم تحقيق جماليات الكياروسكورو ودلالات الصورة الظلية المتمثلة فيما يلي:

- **التعبيرات الدرامية الغامضة**

يتحقق ذلك من التباين الصريح بين الضوء والظلام، حيث تظهر بعض التفاصيل في الضوء لتشير إلى رسالة ما أو شعور ما، وتختفي باقي التفاصيل في الظلام لتولّد شعورا بالغموض، حيث يثير فضول المُتفرج ويوقع في نفسه مجموعة من المشاعر والتعبيرات المختلفة ما بين الحيرة، الشك، الترقب، الخوف، التنبؤ وغيرها من المشاعر الذاتية الوجدانية. هذا التأثير الدرامي قد يتراوح بين السلب والإيجاب حسب قدرة المتلقي على فهم وإلتقاط رموز الفيلم الواضحة والغامضة، حيث يقود الغموض الذي تصطبغ به اللقطة السينمائية إلى إعمال المتفرج لخياله للتعرف على الخبايا والنوايا التي تتخفى وراء الفيلم السينمائي بتقنية الكياروسكورو، كي لا ينبهر فقط بالصورة في شكلها الظاهر، ولكن حتى يتمكّن بالإضافة إلى ذلك من فهم وأستقبال الرسائل الضمنية للصورة السينمائية الظاهرة والخفية.

- **بطولة أو ثانوية العناصر**

يتحقق ذلك بالاختلاف في مدى وضوح العناصر، وفقا لكمية الضوء المسلط عليها، فتبدو الأشياء المضاءة وكأنها مركز الأهتمام والبطولة، والأشياء الأقل إضاءة أبعد وأقل تركيزًا، حتى إذا غرقت العناصر في الظلام فإنها تختفي وترتد إلى الخلف في العمق أو بعيدا عن بؤرة الاهتمام، وهذه من الدلالات البصرية التي تثيرها تقنية الكياروسكورو في توجيهها للمُشاهد بشكل غير مباشر لتلقي الكثير من المعاني والدلالات المرتبطة بالعناصر وأهميتها ووضوحها أو اختفائها وثانوية دورها في الصورة.

- **استشعار استعادة الماضي Flash-back**

خاصة في المشاهد ذات التباين الشديد بين الأبيض والأسود في الأفلام التي تتناول مرحلة تاريخية معينة، والتي تحمل في طياتها رسالة حنين إلى عالم مفقود وفترة زمنية تاريخية ماضية، وتثير الظلال المتحركة في نفس المُتفرج مجموعة من الأنطباعات والمعاني التي تختلف من متلقٍ إلى آخر.

حقوق النشر © 2023 | لمجلة JAARS

وفيما يلي لقطات من فيلم "الناصر صلاح الدين" قبل وبعد المعالجة بتقنية الكياروسكورو من عمل الباحثة:

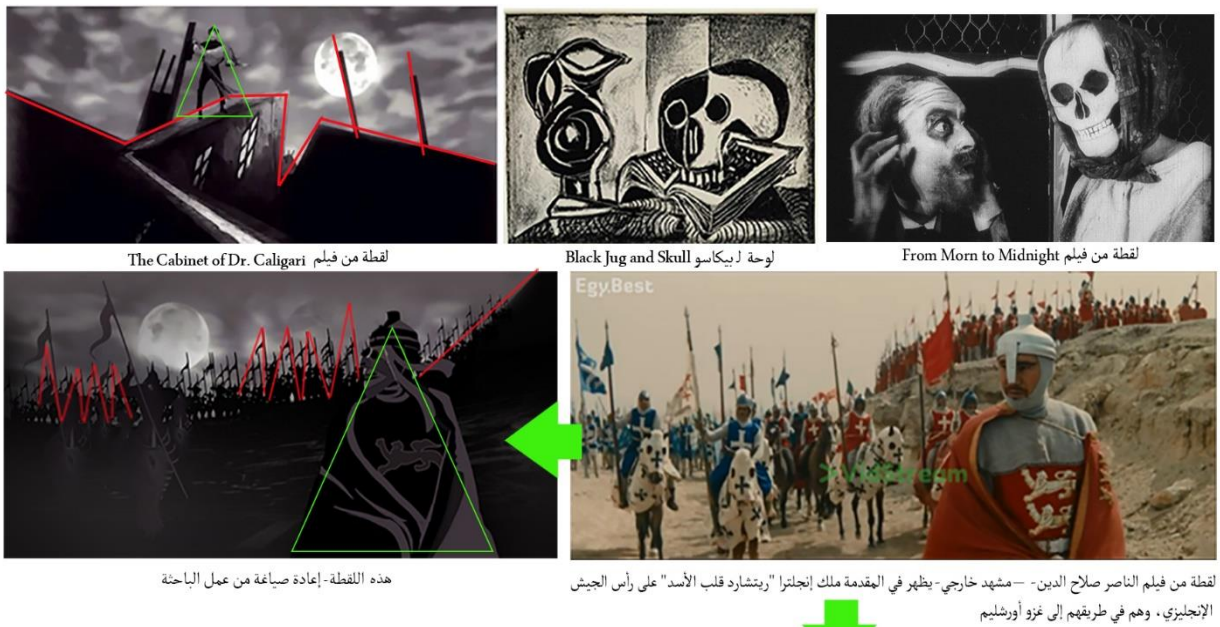

*هذه اللقطة إعادة صياغة **من عمل الباحثة** ، وقد استلهمت عناصرها الفنية من أفلام السينما التعبيرية الألمانية، خاصة فيلم The Cabinet of Dr. Caligari وفيلم From morn to midnight واقتبست من شكل الجمجمة به ومن لوحة بيكاسو Black jug and skull لتحقيق الشعور بالخطر والغزو خاصة مع ما يسيطر على المشهد من اتجاه الخطوط الحادة المائلة والمنكسرة والتي كانت واضحة في اللقطة من فيلم The Cabinet of Dr. Caligari، وبأسلوب الكيارسكورو تم إغراق المشهد في الإظلام، ويبدو الضوء متسللا فقط من القمر ليظهر الجيش المتوافد Silhouette كتلة سوداء تسد الأفق من كثرتهم، وإضافة القناع المستلهم من الجمجمة على وجه قائدهم في المقدمة ليشير إلى الوجه القبيح للعدوان، والمشهد في مجمله يوحي بالخطر والتربص. (تم إعادة معالجة المشهد باستخدام برنامج Adobe Photoshop).*

*شكل (14) مصادر الإلهام وفلسفة التصميم المستخدمة في إعادة صياغة مشهد خارجي **من عمل الباحثة** هجوم الجيش الأنجليزي بقيادة ريتشارد قلب الأسد- بأسلوب الكياروسكورو المستلهم من أفلام السينما التعبيرية الألمانية.*

حقوق النشر © 2023 | لمجلة JAARS

لقطة من فيلم Nosferatu — لوحة إدفارت مونك The Scream — لقطة من فيلم Nosferatu

مشهد داخلي - يظهر الدوق آرثر وهو يتلصص ويسترق السمع لأتفاق الخيانة الذي يبرمه الأمير كونراد دي مونتيفرات، والأمير فيليب أغسطس وعزمهم على خيانة الملك ريتشارد قلب الأسد.

هذه اللقطة - إعادة صياغة من عمل الباحثة

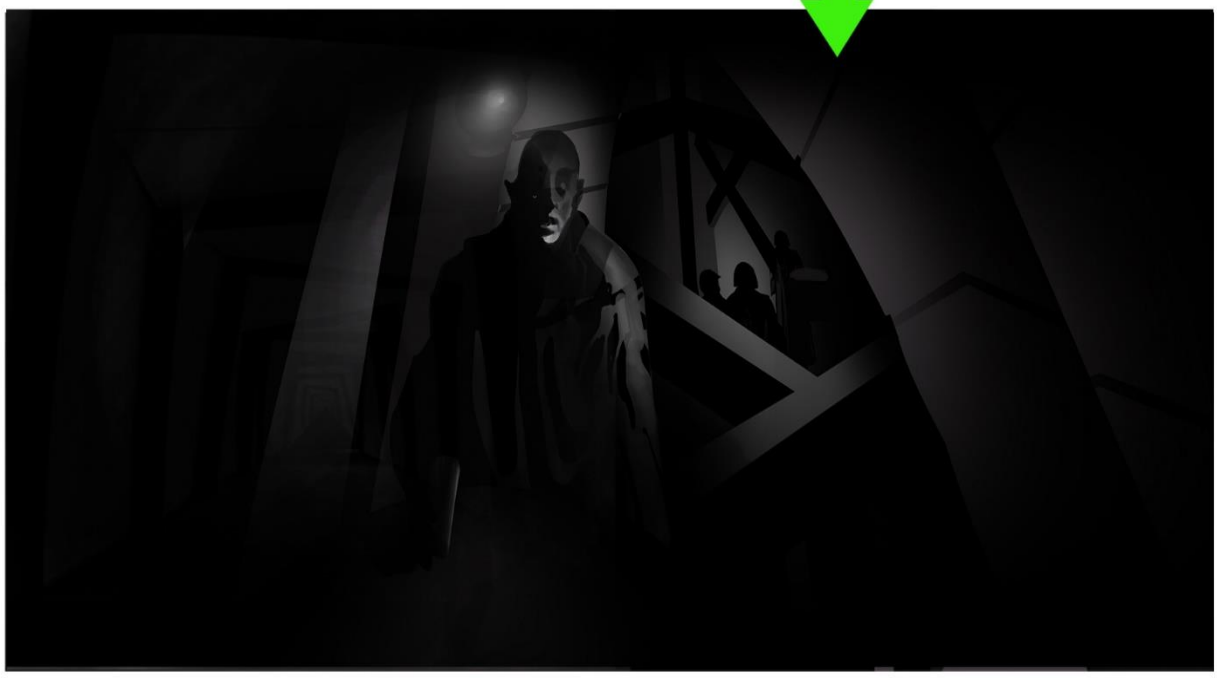

هذه اللقطة إعادة صياغة ***من عمل الباحثة*** *، وقد استلهمت عناصرها الفنية من أفلام السينما التعبيرية الألمانية، خاصة فيلم* Nosferatu *ومن لوحة إدفارد مونك* The Scream *، تتضح في المشهد زاوية الكاميرا من أسفل كما هو في لقطة فيلم* Nosferatu*، والتشوه الذي أصاب المنظور المعماري كما هي سمة أفلام السينما التعبيرية الألمانية، لخلق حالة من التشويش والقلق، وبأسلوب الكيارسكورو تم إغراق المشهد في الإظلام، بحيث تختفي ملامح وجه الشخص في الظلام، فقط يتسلل ضوءا خافتاً يعلو رأسه المتلصص المترقب، لتأكيد حالة التركيز والتجسس التي يقوم بها، والمشهد في مجمله يوحي بالغموض والترقب. (تم إعادة معالجة المشهد باستخدام برنامج* Adobe Photoshop)

شكل (15) مصادر الإلهام وفلسفة التصميم المستخدمة في إعادة صياغة مشهد داخل الحانة ***_من عمل الباحثة_*** *حيث يظهر الدوق آرثر وهو يتلصص ويسترق السمع لأتفاقية الخيانة، بأسلوب الكياروسكورو المستلهم من أفلام السينما التعبيرية الألمانية.*

حقوق النشر © 2023 | لمجلة JAARS

ومن خلال الطرح السابق خلُص البحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات:

النتائج

- نشأت التعبيرية الألمانية كحركة سينمائية تعبر عن أفكار ومشاعر الشعب الألماني بفنانيه ومفكريه، بعد معاناتهم الطاحنة عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى، فأصطبغت الأفلام السينمائية حينذاك بقدر كبير من الذاتية والسوداوية، وتصور مفاهيم الواقع والهوية، وتناول الأساطير والخرافات والمخاوف القديمة، كذلك ووضع تنبؤات جريئة عن بعض أحداث ورؤى المستقبل.
- تحققت تقنية الكياروسكورو بوضوح في فيلم متروبوليس ١٩٢٧، هذا الفيلم الذي يعد مصدرا للألهام ومرجعا هاما لأغلب أفلام الخيال العلمي والسياسي، بل مصدرا للأستلهام للعديد من المصممين والمعماريين ومخططي المدن، ذلك لأنه قدم بعدا رؤيويا لافتا للأنتباه، وقدم عناصر مستقبلية وتقنية مستحدثة في ذلك الوقت لشكل المدينة المستقبلية.
- تشترك أفلام السينما الملحمية مع أفلام السينما التعبيرية الألمانية، في أن كلاهما يركز على الأحداث التي تؤثر على حياة الشعوب كالحروب والثورات والتغيرات التاريخية والجغرافية والكوارث الطبيعية وغيرها، بالإضافة إلى تناول كلاهما للخيال والأستلهام من الأساطير والخرافات من مختلف الحقب الزمنية.
- يعد فيلم الناصر صلاح الدين من الأفلام الملحمية التي يمكن إعادة إنتاجها برؤية تشكيلية تصطبغ بأسلوب السينما التعبيرية الألمانية، وتطبيق تقنية الكياروسكورو وتحقيق جمالياتها، خاصة الدرامية والغموض الذي يحققه التضاد بين الأبيض والأسود والضوء والإظلام _والذي لا زال أسلوبا مؤثرا بشكل كبير في نفس المتفرج_، بتكاليف إنتاجية غير باهظة، بحيث يمكن إعادة انتاج العديد من الأفلام الملحمية بذات الأسلوب وإعادة عرضها للجمهور المعاصر للمساهمة في استعادة وعيه المجتمعي والإنساني، وإلمامه بالأحداث التاريخية والبطولات الهامة في تاريخ الإنسانية.

التوصيات

- يوصي البحث بتوجيه الأهتمام نحو إعادة إنتاج وصياغة الأفلام ذات الطابع الملحمي والأفلام التاريخية، بأساليب تناول معاصرة تتناسب وتحديات العصر وإمكانيات المؤسسات السينمائية _خاصة في ظل الأزمات الأقتصادية التي يمر بها العالم_ ومن جانب آخر لتحقيق القيم الجمالية والتشكيلية التي تجذب المشاهدين وتؤثر في نفوسهم، وتساهم في زيادة وعيهم، وثقافتهم، ورؤيتهم للحاضر، والمستقبل.

المراجع

جواد بشارة، السينما والتاريخ، مجلة الحوار المتمدن، العدد ١٠٤١، ديسمبر ٢٠٠٤.
رشا عبد المنعم، الشعر الملحمي أسطورة الأدب الجاهلي غير المكتملة، جريدة البيان، أكتوبر، ٢٠١٩
سليمان الحقيوي، سحر الصورة السينمائية- خبايا صناعة الصورة، دار الراية للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٢.
شكري عبد الوهاب، القيم التشكيلية والدرامية للون والضوء، مؤسسة حورس الدولية، ٢٠٠٧.
شوقي عبد الحكيم، موسوعة الفلكلور والأساطير العربية، دار العودة، بيروت ١٩٨٢.
عبد الصاحب نعمة مرعي، التشكيل الحركي: الميزانسين في العرض المسرحي، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، السلسلة المسرحية، ط١/ ٢٠٠٣.
قيس الزبيدي، ميزانسين وميزان كادر، مجلة أكسجين، العدد ١٦٠، ٢٠١٤.
ماهر عبد الحليم راضي، فن الضوء، المؤسسة العامة للسينما، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٥.

Expressionism/ Definition, Characteristics, Artists, & Facts, Encyclopedia Britannica, 2021.
Martin Scorsese,The Persisting Vision: Reading The Language Of Cinema, Volume 60, 2013.
Richard Yot , Light For Visual Artists 2d Edition Understanding And Using Light In Art Design, Published By: Laurence King Publishing Ltd, City Road, London, 2020.
-Rudi Paret, Siirat Sayf Ibn Dhi Yazan: An Arabic Folk Epic, Translated with Commentary And Annotation By Gisela Seidensticker-Brikay, Cologne: Koppe, 2009.
https://www.britannica.com/art/Expressionism
http://arab-ency.com.sy/ency/details/10164/19
https://www.moma.org/learn/moma_learning/themes/expressionism/
https://www.albayan.ae/five-senses/east-and-west/2019-10-12-1.3671821
https://www.wdl.org/ar/item/18734/
http://www.arab-ency.com.sy/detail/ ٩٥٦٩
https://mimirbook.com/ar/9489c8d3f3d

حقوق النشر © 2023 | لمجلة JAARS

https://thaqafat.com/2016/03/30368
https://www.bibalex.org/SCIplanet/ar/Article/Details.aspx?id=12447
https://www.elwatannews.com/news/details/4486621
https://www.youtube.com/watch?v=OZ_mcUz8hkQ
https://mana.net/archives/2971
https://skiffleboom.wordpress.com/٠٦/٠٥/٢٠١٠/history-of-the-moving-image-midterm-essays/
http://alrai.com/article/١١٨١٠١.html
http://www.afkar.jo/View_Articlear.aspx?type=٢&ID=٣٢٣٢
https://www.syr-res.com/article/٢١١٨١.html

الدراسات السابقة المرتبطه مرتبطة

One: Focusing on the Key Aspects of Art Direction In expressionist Film Making, University of Calcutta, India, 2020.

Christina Stojanova, German Cinematic Expressionism in Light of Jungian and Post-Jungian Approaches, University of Regina, Canada, 2019.

Eleni VarmaziŞirin, Fulya Erensoy, Chiaroscuro Alleys, Psychological No-Way-Outs and Urban Space in Classic Film Noir, Galatasaray University Journal of Communication, Istanbul, 2017.

Gerald Saul, Shadows Illuminated. Understanding German Expressionist Cinema through the Lens of Contemporary Filmmaking Practices, University of Regina, Canada, 2019.

Tim Shao-Hung Teng, Murderous Shadows, Terrifying Air: Dr. Caligari in China, Journal of Chinese Cinemas, 2020.

حقوق النشر © 2023 | لمجلة JAARS